تنكَّر حالَ علّتيَ الطبيبُ وقال ارى بجسمك ما يريبُ

يريد انكر الطبيب حال علتي فعبَّر بتنكَّر وانما يقال تنكَّر الشيء اذا تغيَّر عن حالهِ ولم يُسمَع تنكَّرهُ بمعنى انكرهُ . وقال ابو القاسم الزعفراني

وليلٍ دعاني فجرهُ فلقيتهُ بمجلس طلق الوجه سهل التخلُّقِ

واراد سهل الخُلُق فعبَّر بالتخلُّق وهو عكس مرادهِ لان التخلق بمعنى تكلف الانسان خلاف ما في خلقهِ . ونحوهُ قول ابن هاني

حسبوا التكحُّل في جفونكِ حليةً تالله ما بأَكُفّهم كحلوكِ

يعني بالتكحل الكَحَل بفتحتين وهو ان تكون الاجفان سوداء خلقةً وانما التكحل ما يكون بالصنعة وهو ما انكرهُ في عجز البيت . قال ابو الطيب

لان حلمك حلمٌ لا تَكلَّفهُ ليس التكحُّل في العينين كالكَحَلِ

(ستأتي البقية)

المرأة الشرقية

(تتمة ما سبق)

ومن تفقد كتب التاريخ والتراجم ولا سيما تاريخ الاندلس وجد من ذكر النسآء الشاعرات والمنشئات وما لهنَّ من بدائع النظم والنثر والبلاغة في المخاطبات والمكاتبات ما لا يمكن استيفآؤهُ في مثل هذه المقالة ولكني ذكرت ما ذكرتهُ من كلامهنَّ للدلالة على ما كانت عليهِ نساء تلك العصور من الميل الى الآداب والاشتغال بما يرفع مقامهنَّ ويُظهِر ما تحلّت بهِ فِطَرهنَّ من الذكآء والفطنة مما لا يكدن ينزلنَ فيهِ عن مرتبة

الرجال . ولا ريب انهُ لو اشتغلت نسآء عصرنا بالامور الادبية والعقلية عوض ما هنَّ فيهِ من صرف العمر في الاباطيل والزخارف الخارجية والتقليد الفارغ لظهر منهنَّ نوابغ يحرزنَ جميل الذكر وجليل الفخر ويخلدنَ اسمآءهنَّ في صحيفة الدهر . فان نسآء ذلك العصر لم يكنَّ اسمى عقولا منهنَّ ولا اوفر وسائط لو شئنَ ان يسلكنَ مسلكهنَّ وقد قال الشاعر

اذا اعجبتكَ خصال امرئٍ　　فكُنْهُ تَكُنْ مثلما يُعجبُكْ
فليسَ عن الفضل والمكرماتِ　　اذا رُمتَها حاجبٌ يحجبُكْ

على اننا لا نبرّئ الرجال من تبعة هذا التقصير فان المرأة اذا رأت اباها واخوتها وسائر من يتصل بها من الرجال الذين تعيش بينهم ذوي ادبٍ وعلم جذب ذلك رغبتها الى اقتفاء سبيلهم والجري على طريقتهم . واقربُ شاهدٍ لنا على ذلك نسآء الجاهلية فانهنَّ مع فقد المدارس وعدم وجود التعليم ومع ان رجالهنَّ كانوا قوماً اميّين الاَّ من ندر منهم فقد كان اكثرهنَّ فصيحاتٍ بليغاتٍ وكان بينهنَّ ما لا يُحصَى من الشاعرات وربما وُجد منهنَّ من تخطب الخُطَب وتتكلم بما يُعجِز ابلغ الكتاب في هذا العصر وما ذلك الا لانهنَّ كيفما ذهبنَ لا يسمعنَ الا الشعر والكلام البليغ على ما هو معروف من شأن أولئك القوم الذين كانوا يسكنون الخيام ويتعاطون رعاية المواشي . ولكننا نجد الرجال في ايامنا قلما يلتفتون الى الامور الادبية او العلمية او يبالون بغير الترَف واللهو وحشد الاموال والزخارف الفارغة والمتعلمون منهم لا يتجاوزون ما تقدم ذكرهُ في الكلام على النسآء من تعلم بعض اللغات الاوربية ثم قضآء الاوقات في مطالعة

الروايات التي اكثرها مفسد للاخلاق والآداب . وزد على ذلك ما ذُكر من تشبههم بالافرنج في كل شيء بحيث انهُ لم يبقَ عندنا للوطنية اثر واصبحت منازلنا وملابسنا ومجالسنا ومحادثاتنا كلها افرنجية وذلك مع خلوّنا من علوم الافرنج وصنائعهم وسائر مزاياهم فكاننا رضينا من ذلك التشبه بهذه القشور. ويا ليتنا مع هذا كلهِ نتشبه باخلاق اكابرهم واكارمهم فاننا لو تفقدنا الأُسَر الشريفة منهم لوجدناها على خلاف ما نفتخر بهِ من تلك الظواهر او النقائص التي اقتبسناها عن بعض ادنيآئهم كالخلاعة والتهتك في الملابس والمجاهرة بالامور المعيبة التي يخجل القلم من تسطيرها ووصفها

وفوق كل ذلك ما هو معروف عند بعض نسآئنا من الخرافات والاوهام والعقائد الباطلة مما لا يتكفل بنزعهِ الا العلم الصحيح . ولا تخفى نتائج ذلك في التربية لان الطفل اكثر ما يكتسب معارفهُ الاولى من والدتهِ لانهُ يربى بين يديها وتحت نظرها وارشادها ومن طبعهِ انهُ يسأل عن كل شيءٍ يراهُ او يجول في فكرهِ ولا يجد امامهُ من يسألهُ الا امهُ فاذا لم تكن متنورة تميز الصواب من غيرهِ لقنتهُ الخرافات والاباطيل فينشأ عليها وترسخ في ذهنهِ حتى يتعذر اقتلاعها منهُ وربما شاخ وهي عندهُ من الحقائق الراهنة . وبخلاف ذلك ما اذا كانت الامّ من المتعلمات العارفات بحقائق الاشيآء فانهُ لا يسألها عن شيء الا سمع عنهُ جواباً صحيحاً فينشأ على معرفة حقيقية بالامور حتى انهُ اذا كانت امهُ عارفةً ببعض الحقائق العلمية والطبيعية كانت تربيتها لهُ بمثابة دروس تمهيدية فاذا دخل

المدارس بعد ذلك كان عارفاً بكثير من تلك الحقائق قبل ان يلقّنها

نعم ان بعض نسآء الغرب قد تطرفنَ في طلب العلميات الى حدٍّ لاتسمح بهِ حال المرأة ووظائفها الطبيعية كالاشتغال بالاعمال الكيماوية والحسابات الفلكية وما اشبه ذلك ممـا يستلزم التفرُّغ لهُ وهي ليس في وسعها ذلك لانهُ يفضي الى تعطيل المصالح البيتية التي هي المسؤولة عنها والتي لا تترك عندها وقتاً لتعاطي مثل هذه الاعمال . ولكن الاشغال البيتية لا تستغرق جميع اوقاتها وعلى الخصوص اذا كانت من ذوات اليسار وعندها من الخدم من يعاونها على خدمة منزلها فانهُ يفضل عندها من اوقات الفراغ ما يمكن ان يقدَّر بنصف العمر على الاقلّ فلا ينبغي لهـا ان تضيع هذه الاوقات سدًى ولا ان تهمل الموهبة العقلية التي منَّ عليها بها الخالق عزّوجلّ . فاذا لم تكن من اللواتي درسنَ العلوم او من ذوات القريحة التي تمكنها من تعاطي الانشآء او الشعر يحسن ان تشغل اوقاتها بمطالعة الكتب المفيدة وخصوصاً كتب التاريخ التي من شأنها ان توسع دائرة العقل وترفعهُ عن الخرافات والخزعبلات وتفيد المطالع بصيرةً في كثيرٍ من الحقائق العلمية لان التاريخ يتعرض لجميع المباحث المتعلقة بالانسان من علمية وسياسية واجتماعية وغيرها . واذا كانت من ذوات المقدرة على الكتابة نثراً او نظماً فانها تستطيع ان تبقي لها اجمل اثر بما يسطرهُ بنانها من حكمةٍ او ادب او غير ذلك مما يكسبها رفعة المقام وبقآء الذكر ويمكن ان يكون منهُ للمطالع فائدةٌ تذكر

هذا واني لا ابرئ نفسي من الاتصاف ببعض ما ذكرتهُ في هذه

المقالة من التقصير الذي وسمت بهِ غيري من النسآء ولكن الامر لا يخلو من ان قلة الكاتبات والمنشئات تدعو الى التقاعد والجبن ولا سيما واني مقرّة بقلّة المادّة وضيق الاطلاع فعسى ان يوجد في اديبات العصر من تنبههنَّ كلماتي هذه فينهضنَ لاصلاح حالتنا النسآئية ولا يخجلنَ ان يكتبنَ بلغتنا العربية ان كنَّ من القادرات على الانشآء فيها وهذه الجرائد والمجلات تترحب بكل مقالةٍ تأتيها من احداهنَّ فان لم تؤثر كتاباتهنَّ الاثر المطلوب كنَّ قد قمنَ بما عليهنَّ والله الهادي الى سوآء السبيل وردة اليازجي

الانتقاد

لا يخفى ان الانتقاد من ادقّ الامور مأخذاً واجلّها خطراً اذ هو المقياس الذي يتوقف عليهِ سداد الحكم في صحيح الامور وفاسدها والمرآة التي تتجلى فيها صُوَر الحقائق بارزةً عن الشكوك والشبهات فلا بدّ لمتعمدهِ ان يستعين لهُ بأداتهِ التي هي صدق النظر في الامور والوقوف منها موقف المنصف الخبير الذي لا يحكم الا بعد البيّنة ولا يأخذهُ في الحكم محاباةٌ ولا تحامل

ومع ما ذكر من شرف هذا الفن وخطر موضوعهِ فلم نجد فيمن تقدّم من تفرغ لبسط الكلام فيهِ وتفصيل الجهات التي يتعين على الناقد مراعاتها والتدقيق فيها الى حدٍّ تنتفي معهُ الجهالة واللَبْس ويؤمن الشطط والمجازفة . ولقد طالما كان يخالج صدرنا ان نكتب في ذلك الفصول المطوّلة ولا سيما وقد انتشرت فوضى الاقلام لهذا العهد وكثر المتطفلون على هذا الفنّ الجليل يلغط كلٌّ منهم على قدر ما يملي عليهِ هواهُ ويوحي اليهِ مبلغ علمهِ وذوقهِ الى ان عثرنا منذ ايام على تاليفٍ حديث لحضرة صديقنا العالم اللوذعيّ الشاعر الناثر عزتلو قسطاكي بك الحمصي نزيل مصر حالاً سماهُ « منهل الوُرّاد في علم الانتقاد » وهو سفرٌ جليل بسط فيهِ القول